على الرغم من ان مدينتهم منسية وبلا مجلس بلدي وان الارهابيين يعدون عليهم الانفاس

أهالي مدينة الحصوة قلبوا كل التوقعات وشاركوا بكثافة في الانتخابات

احمد الاخرس

شيء يفوق العقل ذلك التيار المتعرج من البشر الذي كان يتحرك بصمت مهيب امامي ، على الطريق الترابي ، ليتجه الجميع إلى صناديق الاقتراع. مدينتي الفقيرة المنسية ، انحني إجلالاً لأهلك الطيبين ، واني آسف لأني لم اعرفك على حقيقتك قبل هذا الوقت.

سكانها نحو ٥٠ الف نسمة وغير موجودة على خريطة بغداد!

نساء ورجال وشيوخ ومعاقون تجاوزوا حاجز الخوف فرحين

ما الذي يدفع كل هؤلاء الرجال والنساء لتخطي بوابات الخوف والارهاب؟

صدقوني انا إلى حد هذه اللحظة لا اعرف السبب.

مدينتي، كان النظام السابق قد اهملها إلى حد بعيد، فعانت الفقر ما عانت، إلى الحد الذي كنت اشاهد في كل يوم، طوابير النساء العاملات، وقد غطين وجوههن لكي لا يعرفهن أحد، كنت ارى ذلك كل يوم، ليأتي اصحاب الاراضي المجاورة، وليختاروا ماشاء لهم الاختيار من تلك النسوة، ليعملن في جمع المحاصيل الزراعية، وبأجور زهيدة جداً!

ثم كان اصدار القرار بسحب قطع الاراضي في البيوت غير كاملة التشييد وترحيل العوائل التي سكنتها إلى مناطق (مسقط الرأس)!! ثم منح بيوتهم تلك إلى ضباط في المخابرات والحرس الجمهوري!!

صدقوني، ان مدينتي قد اهملها الجميع حتى الارهابيون!! لم ينظروا اليها بعين الاعتبار، انهم يسمونها الآن (الدجاجة البيضاء)، لانها لا تشاركهم نزواتهم.

قبل يومين من موعد الانتخابات

مدينة الحصوة (النصر والسلام) تقع بين مدينة الفلوجة ومدينة (ابو غريب) حاولت وعلى مدى الايام القليلة الماضية، ان اسجل ملاحظاتي بشأن احداثها، وعلى الرغم من ان عدد سكانها الذي يتجاوز الخمسين الفاً، إلا انها بصفتها مدينة غير موجودة على الخريطة البغدادية!! وليس فيها مجلس بلدي!!

(إذا ذهبنا إلى أي مكتب (دلالية) لبيع وشراء الاراضي، فسوف نجد خريطة توضح عدد قطع الاراضي المستغلة للسكن. والتي تزيد على عشرة الآف، إذا فرضنا ان معدل افراد عائلة هم خمسة افراد، مع العلم ان المنزل قد تجد فيه اكثر من عائلة، وان طبيعة العوائل هنا، تميل إلى كثرة اعداد افرادها، يتبين من ذلك ان عدد سكانها يتجاوز الخمسين الفاً بشكل مؤكد).

كلما مررت من جانب الشارع الرئيس فيها، لا اجد سوى لافتة واحدة يتيمة تشير إلى الانتخابات، قد وضعت في مكان مرور السيارات إلى مدخل المدينة، وما عدا ذلك فانك لن تسمع شيئاً عن الانتخابات إلا همساً. فالجميع يعرف قصة (ابو سارة) الرجل الطيب، الذي كان اكثر رجال المدينة نشاطاً، محاولاً ان يعرف الناس هناك بمعنى الانتخابات، قتل في طريقه إلى عمله صباحاً. بعد ان توقفت سيارة بجواره، لينزل منها شخص يحمل بندقية، ويقتله من الخلف غيلة، قبل عشرة ايام.

الخوف والقلق كانا مخيمين على الناس، وبينما كنت واقفاً هناك، قرب شارع مركز المدينة، ظهرت سيارة، يطلق اصحابها بياناً يدفع فيه الناس إلى المشاركة في الانتخابات، وعلى الرغم من ان جميعهم كانوا يغطون وجوههم، إلا انه امر جيد، لقد كانت اول اشارة تبين فيه، ان المنطقة ليست ميتة.

التوتر حياة والسكون موت

بدأت عقارب الساعة تقترب من اللحظة الكبرى، لحظة الانتصار على الخوف، على الرغم من ان الجو كان مشحوناً بالخوف والقلق يوم الخميس الماضي قبضت مجموعة من المواطنين على شاب حاول ان يطلق النار على اولاد يلعبون في الساحة الكبيرة للعب كرة القدم، وهذه هي المرة الثانية التي يطلقون النار فيها لاخافة الاولاد هناك، بحجة انها بنيت من اموال اميركية!! كان الشاب الذي قبض عليه يملك مسدساً للشرطة وادعى انه كان سكراناً، وقد جاء إلى هنا من قرية مجاورة!!

لقد تردد المواطنون إلى اية جهة يمكن ان يسلموه، قالوا لن نسلمه إلى الشرطة لانهم قد يطلقونه بعد مدة!!

في المساء توجهت إلى صديق، كان يعمل مضمداً في مركز المدينة لعله يعرف شيئاً عن الانتخابات، وعلمت منه، ان الانتخابات سوف تكون في مدينة الشعلة.

صباح الانتخابات

في الليلة التي سبقت الانتخابات كان نومي قلقاً، وقد استيقظت على صوت مخيف لطائرة اميركية، فاستيقظت مفزوعاً.

وفي الساعة الثامنة صباحاً - كتبت، انه يوم الانتخابات ولا شيء يتحرك في هذه المدينة النائمة. قد يكون الوقت ما زال مبكراً. وما زال مكان المركز الانتخابي سرياً، لم يعرف بعد.

خرجت صباحاً لأرى ما سيحدث، كان بعض الناس يقدم خطوة ويؤخر اخرى، وهم يتلفتون وراءهم، قالت لي احدى المعارف، انها كانت تبتعد إلى الجانب الآخر إذا ما رأت سيارة مقبلة نحوها.

اتجهت إلى جامع في وسط المدينة لعلي ارى قوائم الاسماء التي كتبت عليها اسماء المدارس التي يجب ان نذهب اليها، قيل لي ان بعضاً منا قد ذهب إلى مدينة الشعلة منذ يومين، حتى يمكنه ان ينتخب هناك، لأن الطرق سوف تغلق.

بعد ان وصلت إلى وسط المدينة كانت المفاجأة، لقد تجمع عدد كبير من اهالي المدينة، كان احدهم ينظر إلى الآخر، واخيراً انتصروا على الخوف. كانت جموع من الناس تتحرك على طول طريق السوق من دون وجهة معينة!، كانوا يتساءلون عن المكان الذي يجب ان يذهبوا اليه، وبعد قليل اخذنا نسمع صوتاً عبر مكبر للصوت، وهو يأمر الناس أن تتجه إلى منطقة اسموها عرب طاحوس، تقع خارج المدينة، وبدا التذمر يزداد، لأن تلك المنطقة قد حدث فيها بعض الاضطرابات، ولكن الناس اخذ يدفع بعضهم بعضاً.

بعد لحظات مرت من امامنا سيارات الحرس الوطني، وهي تنطلق مسرعة، كانوا يمنحوننا بعض الامان، واخذ الناس يزدادون عدداً، لقد مشينا مسافة طويلة جداً، قد تزيد على ثلاثة كيلو مترات وفي الطريق كنت اتحدث مع المواطنين.

لا نخاف الارهاب

وفي الطريق سألت المواطن علي محمد علي عن الاسباب التي تدفعه إلى المخاطرة والمجيء للانتخابات فقال: "نحن لا نخاف من الارهاب، وعلينا ان نجد حلاً لكل هذه المشكلات، وان الانتخابات هي الحل، والانتخابات واجب وطني".

كان الفرح بادياً على وجه المواطن اسماعيل كاظم الذي قال: "ان مشاعري طيبة هذا اليوم ونحن نريد من الحكومة الجديدة ان توفر لنا الامان، وفرص العمل "كان اغلب الذين تحدثت معهم يقولون ذلك.

المواطن صباح حسين يقول: لدي اقتراح ارجو ان تنقله إلى الحكومة نحن نطالب الحكومة بان تبعد جميع العرب حالياً من ارض العراق، لماذا لا تفعل هذا؟ ولماذا يستمر القادمون من وراء الحدود بقتلنا؟ انا لا اقول اطردوهم إلى الابد، ولكن لكي ننظف بلدنا من الارهابيين علينا ان نعمل ذلك وهو اجراء مؤقت".

عندما وصلنا إلى هناك، كان الجميع قد اعد المكان كأنه ساحة حرب، وقد انتشر الجنود في مكان قريب من الطريق الدولي، اعتقد انه لم يخطر في بالهم ان عدد الناخبين يمكن ان يكون بهذا الحجم، (كانوا ما يزيد على عشرة آلاف) لقد كان المكان مفتوحاً ومحمياً، بطريقة تمكن المدافعين من السيطرة عليه بسهولة، وكانت هنالك طائرات هليكوبتر تحوم فوقنا. وهنالك دبابات وسيارات للحرس الوطني منتشرة في الانحاء.

المعاقون شاركوا ايضاً

كان بعض المنتخبين من المعوقين، ولهذا حاول بعضهم ان يسهل لهم المرور إلى الخيمة التي يتم فيها التفتيش ثم المرور عبر اسلاك طويلة ليصل بعد ذلك اذا تسنى له المجال، إلى المدرسة التي كانت هي المركز الانتخابي، كانت مدرسة معزولة وغير معروفة، بعيدة بعض الشيء عن المدينة الكبيرة.

كان الانتظار طويلاً، واشتكى الكثير منهم، انهم انتظروا ساعات طوال، وفجأة سمع صوت حاد يخترق الاجواء، ارتمى بعضهم على الأرض، خاف الناس ولكن لم يذهب منهم احد، اعتقد انه كان صاروخاً وقد مر بعيداً عن الجموع، أي سر في هؤلاء يجعلهم يخاطرون بأرواحهم..؟ تساءلت في نفسي هذا شيء عجيب! واستمرت الانتخابات.

حل وقت العصر وما زال الزحام شديداً، المركز الانتخابي بدا كأنه ساحة حرب، ففي جوار مدرسة الظفائر الابتدائية، انتشرت الاسلاك الطويلة وامام الساحة الواسعة انتشر الجنود من كل لون وشكل، حاولوا ترتيب الجماهير بكل طريقة، ولم يكن الامر سهلاً كانت (طوابير) الناس المتزاحمة المتدافعة تثير اعصاب بعضهم، سقط احدهم إلى الارض، فنادى احد الجنود طبيباً حاول ان يخترق الزحام، ليصل إلى المريض الذي التف حوله الناس!

ادعى بعض كبار السن الضعف حتى يتجاوزوا جمهرة الناس، ويصطحبهم في ذلك بعض الشباب، ولكن هذه الحيلة لم تنطلي على الجنود هذه المرة، فمنعوا أي شخص من تجاوز دوره.

النساء

كان عدد النساء اللاتي يحاولن الدخول إلى المركز او المعسكر الانتخابي كبيراً، فكنت ترى العباءات السود وهي تخترق الأسلاك لتصل إلى خيمة بعد ان تفتشهم جندية من قوات التحالف، ليصلن بعد إلى الساحة الترابية الممتدة على مساحة كبيرة، ثم إلى المركز الانتخابي، وبعد الاقتراع كانت النسوة يخرجن مع بعض الهدايا التي قدمت إلى أطفالهن، كرات قدم او العاب او حلويات.

عندما وصلت إلى داخل المدرسة، كنت أمني نفسي بأن اضع الورقة الانتخابية في الصندوق بنفسي، ولكن الموظف كان يضع الاوراق بعضها فوق بعض لان الصناديق الانتخابية قد امتلأت، سألته: لماذا هذا المركز الوحيد فقال "في الحقيقة ان هذا المركز لم يكن مخصصاً لأهالي الحصوة، وإنما من اجل مواطني القرى المجاورة، ولكن فيما بعد تم الاتصال بالمفوضية في بغداد، وتم السماح للمواطنين بالانتخاب في اللحظة الأخيرة، ولكننا لم نعتقد ان العدد سوف يكون بهذا الحجم".

ماذا بعد؟

اغلقت ابواب ذلك المركز في الساعة الخامسة، وبقي هنالك عدد كبير منهم على الأبواب لم يأخذ فرصته. وبقيت احلام الناس، وطعم ذلك اليوم لا يفارق الكثير، والسؤال المهم ماذا تكون الخطوة التالية؟

في مركز ٨٠٠٥ الانتخابي في حي الاعلام

مواطنون يقترعون على ايقاعات قذائف الهاون!

عامر القيسي - يحيى الشرع
تصوير: سمير هادي

لأن والده مدير احد المراكز الانتخابية ، فقد استهدفته رصاصات الجريمة والارهاب. فكانت اصابته بليغة. نقل إلى المستشفى ، وتم علاجه بسرعة. وحين عاد إلى وعيه ، أصر على الذهاب إلى مركزه الانتخابي والادلاء بصوته ، بالرغم من الكسر الذي في ساقه ، ليعيد كل هذا الرصاص إلى صدور مطلقيه.

افراد حماية المركز يلاحقون الارهابيين ويلقون القبض على بعضهم

جاءوا مشياً من المحمودية واليوسفية لانتخاب العراق

الرصاص يلعلع والمواطن ينتخب

هذه القصة ليست الوحيدة التي يصعب تصديقها، من مجموعة قصص متنوعة، كانت شاهداً صادقاً على اصرار العراقي على ان يأخذ زمام رسم مستقبله ومستقبل الاجيال القادمة، يقول مدير المركز الانتخابي: من الصعوبة ان اصور لك لوحة الوضع الانتخابي في مركزنا بين الساعة التاسعة والعاشرة من صباح يوم الانتخاب المبارك. قصف عنيف بقذائف الهاون. صوت لعلعة الرصاص من عدة اتجاهات.

في البداية ساد توتر شديد، لكن الناس سرعان ما تآلفوا مع المشهد، واتجهوا إلى صناديق الاقتراع، خصوصاً بعد ان انطلقت اكثر من مجموعة من رجال حماية المركز الابطال لاسكات مصادر الاطلاقات النارية، وفعلاً نجحت إحدى الدوريات في القاء القبض على بعض الارهابيين. وقد رافقت هذه العملية زغاريد النسوة التي بددت الكثير من المخاوف وحسمت الكثير من مواقف التردد.

وعن عدد المسجلين لديه. قال. في مركزنا سبع محطات للاقتراع، في كل محطة ستمائة ناخب مسجل، أي إن مجموعة المسجلين في مركزنا كان (٤٢٠٠) مواطن. وقد بلغت نسبة الذين أدلوا باصواتهم ٦١٪ من مجموع المسجلين. وكانت مشاركة شملت مختلف انتماءات المواطنين. والكثير منهم أعرفهم شخصياً حتى إن قسماً منهم كان من ضباط الجيش السابق وجهاز الامن. وحين سألتهم عن دوافع مجيئهم للاقتراع. قالوا بكل وضوح. يا اخي لقد تعبنا من هذه الحالة. نريد للبلد أن يستقر لكي يعرف كل شخص ماذا يفعل!!

البرودة وفرز الاصوات

قال لنا احد منتسبي المركز من المفوضية العليا للانتخابات ان العمل كان يحتاج إلى مزيد من التنظيم خصوصاً بعد غلق المركز عليك أن تتصور، باننا بتنا ليلتنا في المركز، دون تدفئة، دون طعام. دون كهرباء، وبعض المراقبين من الكيانات السياسية، بقوا معنا في المركز حتى صباح اليوم التالي ومجئ قوات الطوارئ لنقل صناديق الاقتراع. في الحقيقية كانت ليلة لا تنسى. ونحن نفرز القوائم "اشتغل القصف"، انبطحنا ارضاً. ثم قمنا لنواصل العمل ونحن نرتجف من البرد ونتضور من الجوع، لكن الفرحة كانت تغمرنا لاننا كنا نقوم بعمل يشبه المستحيل. وكان مثالنا في الاصرار والمواصلة، الملازم الاول "عدوان" كان شجاعاً إلى درجة كبيرة، فما ان انطلقت ليلاً العيارات النارية على المركز، حتى انطلق مع دوريته يبحث عن مطلقي الرصاص بين الازقة، وفي الاماكن المظلمة ولم يمض وقت طويل حتى كان هذا الرجل الشجاع قد القى القبض على هؤلاء المجرمين

❖كيف جرت عملية الاقتراع؟

قال مدير المركز. لقد فتحنا ابواب المركز في الساعة السابعة صباحاً، حسب التعليمات، ولم نغلق الابواب، حتى الساعة الخامسة مساءً. وحتى لحظة الاغلاق كان هناك بعض المواطنين يتقاطرون للإدلاء باصواتهم مع اطفالهم، وقد سمحنا بذلك. والملفت للنظر ان الكثير من الآباء والامهات قد احضروا معهم اطفالهم. كان مشهداً جميلاً الحضور المكثف للاطفال، كما لو إنهم يدركون إن هذا اليوم لهم ولمستقبلهم.

مشياً من المحمودية واليوسفية!

حدثنا بعض الناخبين، بان البعض قد أتى مشياً على الاقدام والبعض الآخر نقلتهم سيارات الشرطة، من مناطق المحمودية واليوسفية، وبعض قراهما. وسجلوا اسماءهم في ملحق المركز الانتخابي، واقترعوا لأنهم لا يستطيعون ان يفعلوا ذلك في مناطقهم خوفاً من انتقام الملثمين. وكون الناس في مدنهم وقراهم أحدهم يعرف الآخر وبالتالي فانهم يخافون على حياة عوائلهم. لأنهم لا يريدون أن تفوتهم هذه الفرصة التي تتوفر لهم الآن للمرة الاولى في حياتهم. ويقول البعض منهم - وهم يرفضون ذكر اسمائهم - إن الكثير من المواطنين هناك لديهم رغبة حقيقية في ان يدلوا باصواتهم ويشاركوا الشعب العراقي فرحته بهذا الحدث التاريخي... ولكن....!!! وعندما سألناهم. اية قائمة ستنتخبون. اجابوا: لقد جئنا لننتخب العراق.

ملاحظات عامة

في حوارات متفرقة مع المواطنين، أعربوا لنا عن ارتياحهم للتنظيم الدقيق في عملية الاقتراع، فضلاً عن السيطرة على الوضع الأمني حول المركز الانتخابي وفي داخله. لكن البعض الآخر استذكر. ان بعض كبار السن المرضى لم يتسن لهم الحضور للادلاء باصواتهم.

وقد اكد ذلك مدير المركز، الذي قال كان المفترض ان يجلب هؤلاء المرضى بسيارات الشرطة، لكن الوضع في المنطقة لم يكن يسمح لنا بارسال سياراتنا لاحضارهم. لكن عملية الاقتراع كانت جيدة جداً، كما اكد الجميع، والدليل النسبة العالية من المسجلين الذي أدلوا باصواتهم، والتي بينتها لنا قوائم الاقتراع.